Journal of Arabic Research
EISSN: 2664-5807, PISSN: 26645815
Publisher: Allama Iqbal Open University, Islamabad
Journal Website: https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar

Vol.08 Issue: 01 (July-December 2025)
Date of Publication:
HEC Category: Y

https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar

Article	التحليل المستوياتي لقصيدة (لكل شيء إذا ما تمّ نقصان) لأبي البقاء الرندي A Multi-Level Linguistic Analysis of Abū al-Baqāʾ al-Rundī's Poem "For Everything, When It Is Complete, There Is Decline"
Authors & Affiliations	**Dr. Souad Sulaimani** University of Ain Temouchent – Belhadj Bouchaib – Algeria
Dates	Received: 05-09-2025 Accepted: 30-06-2025 Published: 10-07-2025
Citation	التحليل المستوياتي لقصيدة (لكل شيء إذا ما تمّ نقصان) لأبي البقاء الرندي [online] IRI - Islamic Research Index - Allama Iqbal Open University, Islamabad. Available at: <https://jar.aiou.edu.pk/?p=74722> [Accessed 25 December 2023].
Copyright Information	التحليل المستوياتي لقصيدة (لكل شيء إذا ما تمّ نقصان) لأبي البقاء الرندي **Dr. Souad Sulaimani**, is licensed under Attribution-ShareAlike 4.0 International
Publisher Information	Department of Arabic, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University, Islamabad

Indexing & Abstracting Agencies

IRI	Australian Islamic Library	HJRS	DRJI

ABSTRACT

Abū al-Baqāʾ al-Rundī's poem "For Everything, When It Is Complete, There Is Decline" is regarded as one of the most eloquent texts of Andalusian elegiac poetry, powerfully embodying the moment of historical and civilizational rupture that accompanied the fall of the cities of al-Andalus. Its verses convey an intense emotional charge articulated through a highly refined and expressive linguistic style. In light of its literary and historical significance, the present study seeks to uncover its linguistic dimensions by tracing its various analytical levels, namely the phonological, morphological, syntactic, semantic, and pragmatic levels, thereby enabling a deeper understanding of the structural system upon which the poem is constructed.

The central research problem is articulated through the following questions: How do linguistic levels contribute to foregrounding the poem's aesthetic and semantic structure? To what extent can linguistic analysis illuminate the extra-textual civilizational and cultural dimensions embedded in the poem?

This study aims to highlight the integration and harmony between form and content in the poetic text and to demonstrate how the poet strategically deploys linguistic resources in the service of meaning. Moreover, it seeks to contribute to bridging linguistic studies with the corpus of classical Arabic poetry, thus supporting contemporary applied approaches to the analysis of Arabic poetic discourse.

Keywords:
Abū al-Baqāʾ al-Rundī; "For Everything, When It Is Complete, There Is Decline"; linguistic analysis; linguistic levels; Andalusian elegy.

الملخص:

تُصنّف قصيدة "إذا ما تمّ نقصان" لأبي البقاء الرندي من أبلغ نصوص الرثاء الأندلسي التي جسّدت لحظة الانكسار التاريخي والحضاري عند سقوط مدن الأندلس، وقد حملت بين أبياتها شحنة شعورية قوية وصياغة لغوية بليغة. وبالنظر إلى قيمتها الأدبية والتاريخية، يأتي هذا البحث للكشف عن أبعادها لسانياً من خلال تتبّع مستوياتها المختلفة: المستوى الصوتي والصرفي والنحوي، والدلالي والتداولي، بما يسمح بفهم أعمق للنسق الذي بُنيت عليه. وتكمن الإشكالية الأساسية في التساؤل: كيف تسهم المستويات اللسانية في إبراز البنية الفنية والدلالية للقصيدة؟ وهل يمكن أن يضيء التحليل اللساني ما وراء النص من أبعاد حضارية وثقافية؟

يسعى هذا البحث إلى إبراز التكامل والانسجام بين الشكل والمضمون في النص الشعري، وبيان كيفية توظيف الشاعر لأدوات اللغة في خدمة المعنى، إضافةً إلى المساهمة في ربط الدراسات اللسانية بالمتن الشعري العربي القديم[1]، بما يدعم المقاربات التطبيقية الحديثة في تحليل الشعر العربي.

الكلمات المفتاحية:

أبو البقاء الرندي، قصيدة إذا ما تمّ نقصان، التحليل اللساني، المستويات اللغوية، الرثاء الأندلسي.

المقدمة:

يعدّ شعر الرثاء من أبرز الأغراض الشعرية في الأدب العربي، لما يحمله من طاقة شعورية عميقة، وقدرة على تصوير لحظات الانكسار الإنساني والحضاري. وإذا كان الرثاء قد ارتبط في بداياته بموت الأفراد والأحبة، فإن التجربة الأندلسية قد منحته بعدًا جديدًا تمثّل في رثاء المدن والحضارات. وفي هذا السياق، برزت قصيدة أبي البقاء الرندي "إذا ما تمّ نقصان" باعتبارها من أبلغ النصوص التي عبّرت عن المأساة الأندلسية عقب سقوط مدنها واحدة تلو الأخرى، إذ احتشدت أبياتها بصور الفقد والخراب والحنين، وجسّدت بصدق لحظة الانهيار التاريخي والحضاري الذي عاشه المسلمون في الأندلس.[2]

تكمن أهمية هذه القصيدة في أنّها لا تقتصر على قيمتها الأدبية بوصفها نصًّا شعريًا رفيع المستوى، بل تتجاوز ذلك إلى كونها وثيقة تاريخية تشهد على تحولات سياسية وثقافية واجتماعية كبرى في تاريخ الأندلس. فهي نص يختزن البعد الجمالي والبعد الحضاري معًا، ويجمع بين حرارة الشعور وبلاغة التعبير، مما جعلها تحتل مكانة متميزة في ذاكرة الأدب العربي.[3]

إذا كان الدارسون قد تناولوا هذه القصيدة من جوانب تاريخية وأدبية وبلاغية متعددة، فإن المقاربة اللسانية الحديثة تفتح أفقًا جديدًا لقراءتها، من خلال التركيز على مستوياتها اللغوية المتنوعة: المستوى الصوتي بما يحمله من إيقاع داخلي وتكرار صوتي مؤثر، والمستوى الصرفي والنحوي بما يتضمنه من صيغ وتراكيب تعبّر عن الحزن والانكسار، والمستوى الدلالي الذي يكشف عن شبكة من الحقول الدلالية المرتبطة بالفقد والخراب والحضارة، والمستوى التداولي الذي يبرز كيفية توجيه الشاعر خطابه إلى الأمة الإسلامية جمعاء، ساعيًا إلى إثارة الوعي وتحريك الوجدان.

من هنا، فإن الإشكالية التي يسعى هذا البحث إلى معالجتها تتمثل في التساؤل: **كيف تسهم المستويات اللسانية المختلفة في إبراز البنية الفنية والدلالية لقصيدة "إذا ما تمّ نقصان"؟ وهل يمكن للتحليل اللساني أن يكشف الأبعاد الحضارية والثقافية الكامنة وراء النص؟**

تقتضي الإجابة عن هذا التساؤل تتبّع مستويات التحليل اللغوي في النص الشعري، ومحاولة ربطها بالدلالات التاريخية والحضارية التي تشكّل خلفيته.[4]

تظهر أهمية هذا البحث في مبدأين أساسيين: الأول هو إبراز التكامل بين الشكل والمضمون في النص الشعري الأندلسي، وبيان كيف وظّف "أبو البقاء الرندي" أدوات اللغة لتصوير التجربة التاريخية والوجدانية؛

والثاني هو المساهمة في ربط الدراسات اللسانية الحديثة بالمتن الشعري العربي القديم، بما يسمح بفتح آفاق جديدة للبحث في التراث الأدبي وتحليله.

ولهذا، فإن هذا البحث لا يقف عند حدود القراءة الأدبية التقليدية، بل يعمل على الجمع بين التحليل اللساني والتحليل الثقافي للنص، في محاولة لإضاءة القصيدة من الداخل والخارج معًا، بما يكشف عن ثرائها الفني والفكري، ويؤكد في الوقت نفسه راهنية البحث في الشعر الأندلسي باعتباره ذاكرة جماعية ورمزًا حضاريًا خالدًا.

1–الإطار التاريخي والأدبي:

عرفت الأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين تحولات كبرى قادت إلى سقوط مدنها واحدة تلو الأخرى تحت ضغط الحملات المسيحية المتصاعدة من الشمال. فقد شهدت المنطقة حالة من التشرذم السياسي، وضعفًا في البنية العسكرية، وانقسامًا بين الإمارات المتنازعة، مما جعلها عاجزة عن مواجهة الزحف الأيبيري. هذا الواقع المأساوي مثّل الخلفية التاريخية التي وُلدت فيها قصيدة أبي البقاء الرندي "إذا ما تمّ نقصان"

لقد شكّل سقوط المدن الأندلسية بداية من طليطلة (478هـ) وصولًا إلى إشبيلية (646هـ) وقرطبة (633هـ) ثم غرناطة في النهاية (897هـ)، صدمات متكررة للأمة الإسلامية في الغرب الإسلامي. ومع كل سقوط كانت تتسع دائرة الانكسار النفسي والحضاري، ويتعمق الشعور بفقدان مجدٍ تليد وحضارةٍ ازدهرت لقرون. وهنا لعب الشعر دورًا في التعبير عن هذا الحزن الجماعي، فكان الرثاء لسان الأمة في لحظة انكسارها.

تميّز الرثاء الأندلسي بخصوصية لا نجدها في غيره من أغراض الرثاء العربي، إذ لم يعد مقتصرًا على رثاء الأفراد والزعماء، بل اتسع ليشمل المدن والحضارات. فقد أصبح الشاعر الأندلسي يرثي الحواضر الإسلامية ككيانات ثقافية وحضارية، فيصف خراب القصور والمساجد، ويستحضر أصوات الأذان التي خفتت، ويستعيد صورة المدارس والمجالس العلمية التي اندثرت.

وعلى خلاف الرثاء الجاهلي أو العباسي، الذي غالبًا ما ركّز على فقد الأحبة والزعماء، جاء الرثاء الأندلسي محمّلًا بوعي تاريخي جمعي. فالنصوص الأندلسية لا تذرف الدموع فقط، بل تسجّل شهادة

حضارية على انهيار مجدٍ كامل، وتحوّل حضارة كانت منارة العالم الإسلامي إلى أطلال وذكريات. هذه الخصوصية جعلت من الرثاء الأندلسي أدبًا جماعيًا بامتياز، يُعبّر عن وجدان الأمة لا عن ذات الشاعر فقط.

في هذا السياق، تبرز قصيدة "أبي البقاء الرندي" باعتبارها النموذج الأكمل لهذا الرثاء. فقد جمعت بين حرارة الشعور وبلاغة التصوير، وصارت مرآة تعكس مأساة المسلمين في الأندلس. وما يزيد من قيمتها أنها لم تُكتب في لحظة عابرة، بل جاءت في لحظة مفصلية بعد سقوط إشبيلية، إحدى أعظم الحواضر الأندلسية وأكثرها ازدهارًا.

من الناحية الأدبية، يُعدّ "أبو البقاء الرندي" امتدادًا لتقاليد الشعر العربي الكلاسيكي، لكنه في الوقت نفسه أحد أبرز المجددين الذين طبعوا النص الشعري الأندلسي بطابعه الخاص. فقد تأثر بالبلاغة القرآنية، واستثمر الصور البلاغية الموروثة، وأدخلها في نسق جديد يعكس هموم عصره. لذلك نجد في شعره امتزاجًا بين الأصالة والمعاصرة.[5]

قد تفرّد "أبو البقاء الرندي" بقدرة خاصة على توظيف الأدوات البلاغية لخدمة الشعور الجمعي،فقصيدته لم تكن مجرد نص شخصي يعبّر عن حزنه، بل تحوّلت إلى خطاب شعوري موجّه إلى الأمة الإسلامية، يستنهض هممها ويذكّرها بواجبها تجاه الأندلس الساقطة. بهذا المعنى، تجاوز "الرندي" حدود الشعر الفردي ليؤسس لنص جماعي في جوهره.

إنّ موقع "أبي البقاء الرندي" بين شعراء عصره كان موقع الريادة، إذ استطاع أن يخلّد اسمه بقصيدة واحدة صارت شعارًا للأدب الأندلسي في لحظة انكساره. بينما انشغل بعض الشعراء بالمديح أو الغزل، اختار "الرندي" أن يكون صوت الرثاء، وأن يحمّل نصّه حمولة وجدانية وتاريخية جعلت منه مرجعا لا بديل له في دراسة الأدب الأندلسي.

كما أن شعر "الرندي" يعكس وعيًا نقديًا داخليًا، فهو لا يكتفي بتصوير المأساة، بل يلمّح إلى أسبابها، فيتحدث عن الغفلة، والركون إلى الدنيا، والتناحر بين المسلمين. وهنا يتجاوز دوره دور الشاعر الراثي، ليصبح بمثابة المؤرخ والناقد الاجتماعي، الذي يقدّم في ثنايا أبياته دروسًا للأمة الإسلامية.

إن الإطار التاريخي والأدبي للقصيدة يوضّح أنها نص جامع بين البعد الفني والبعد الحضاري، وأنها تمثّل لحظة نادرة في الأدب العربي اجتمع فيها الشعر بالتاريخ، والعاطفة بالعقل، والفرد بالجماعة. ولهذا، تظل

هذه القصيدة علامة فارقة في مسيرة الرثاء العربي، ونموذجًا أدبيًا خالدًا يختزن الذاكرة الأندلسية بكل ما فيها من ألم وحنين.

2–الخصائص الفنية للقصيدة:

إنّ القيمة الفنية لقصيدة "إذا ما تمّ نقصان" تكمن في قدرتها الفائقة على الجمع بين حرارة العاطفة وقوة التعبير، فقد جاءت محمّلة بشحنة وجدانية مكثفة نقلت مشاعر الحزن والانكسار من الذات الفردية إلى الوجدان الجمعي للأمة الإسلامية. فالشاعر لم يكتفِ بتصوير حزنه الشخصي، بل جعل من رثائه رثاءً حضاريًا شاملاً، يلامس وجدان كل من يقرأ أو يسمع أبياته.

قد اتسم النص بقدرة عالية على التعبير عن المأساة في صور متتابعة، حيث نجح الشاعر في توظيف التوتر النفسي العميق ليجعل القصيدة كيانًا نابضًا بالحزن. فالصور التي رسمها عن المساجد المهدّمة والقصور المهدورة والأذان الذي صمت، كلها جاءت لتعكس حالة الانكسار لا بوصفها مشاهد خارجية فحسب، بل باعتبارها رموزًا لحضارة كاملة في طريقها إلى الأفول.[6]

من الناحية الجمالية، جاءت اللغة الشعرية للقصيدة في أبهى صورها. فقد أحسن الشاعر استخدام التراكيب المؤثرة التي تجمع بين الفصاحة والجزالة، كما استعان بالتشبيهات والاستعارات التي نقلت الصور من مجرد كلمات إلى لوحات بصرية وسمعية. لقد كان يعي تمامًا أن تصوير الخراب لا يتم عبر الوصف المباشر وحده، وإنما عبر بناء صور بلاغية تحفر في وجدان المتلقي وتترك أثرًا عميقا في النفوس يتجاوز الزمن.

يظهر في القصيدة تنوّع لافت في التراكيب اللغوية التي أسهمت في تكثيف المعنى، إذ نجد الجمل الخبرية التي تسجّل الواقع وتسرده، إلى جانب الجمل الإنشائية التي تستنهض وتثير الوجدان. هذا المزج بين الخبر والإنشاء أضفى على النص ديناميكية خاصة، وحوّل القصيدة من مجرد سرد للأحداث إلى خطاب شعوري حي يخاطب العقل والقلب معًا.[7]

أما على مستوى الموسيقى الشعرية، فقد جاءت الأوزان والقوافي متناغمة مع الجو النفسي العام. فالبحر الذي اختاره الشاعر والروي الذي التزم به يضفيان نغمة حزينة متكررة، تجعل من النص أقرب إلى نشيد

جنائزي يواكب مأساة الأمة. هذه الموسيقى الداخلية لم تكن عنصرًا زخرفيًا فحسب، بل كانت جزءًا أصيلًا من بناء المأساة وتجسيد الانكسار.

يلفت الانتباه في النص أثر التكرار الصوتي واللفظي الذي استثمره الشاعر ببراعة. فالتكرار لم يكن مجرد إعادة لفظية، بل جاء أداة للتوكيد والتأثير النفسي. فكل مرة تتكرر فيها عبارة أو صيغة معينة، يزداد وقعها على السامع، ويتضاعف أثرها في تعميق الشعور بالحزن والانهيار.

فقد ساهم هذا التكرار في خلق إيقاع داخلي متصاعد، يعكس التوتر النفسي والوجداني الذي يعيشه الشاعر. فهو يكرر لكي يرسّخ الفكرة في الأذهان، ولكي يعبّر عن عجزه عن الفكاك من دوامة الألم. وهنا يتحوّل التكرار إلى وسيلة فنية تعكس طبيعة المأساة نفسها، حيث تتكرر صور السقوط والخراب وكأنها قدر نافذ.

كما يظهر في القصيدة توظيف بارع للصور الرمزية التي تحمل أكثر من دلالة، مثل تصوير الأذان الذي انقطع كرمز لزوال الهوية الإسلامية، أو تصوير القصور المهجورة كرمز لانتفاء الحضارة. هذه الرموز لا تكتفي بإثارة العاطفة، بل تفتح مجالًا للتأمل الفكري، وتجعل النص متعدد الأبعاد، يجمع بين المباشرة والرمزية في آن واحد.

من الجوانب الفنية أيضًا أن الشاعر أجاد الربط بين الخاص والعام، فصوّر المأساة من خلال مشاهد ملموسة وواقعية، لكنه سرعان ما يرفعها إلى مستوى التجربة الجماعية. وهذا ما جعل القصيدة صالحة لأن تكون مرآة لحزن الأمة، لا مجرد تسجيل لانكسار شخصي أو محلي.

بذلك يمكن القول إن القيمة الفنية للقصيدة تظهر في تكامل عناصرها: الشحنة العاطفية العميقة، وجماليات اللغة الشعرية، والموسيقى الداخلية، والتكرار المؤثر، والرمزية الغنية. هذا التكامل جعل النص يتجاوز حدود الزمان والمكان، ليظل حيًا في الذاكرة الأدبية بوصفه أنشودة خالدة للرثاء الأندلسي ومثالًا فنيًا راقيًا يجمع بين العاطفة الصادقة والصياغة المبدعة والأسلوب المتفرّد.

3- التحليل المستوياتي للقصيدة:

يكشف تحليل القصيدة" إذا ما تمّ نقصان" من زاوية لسانية عن عمق البناء الفني الذي يقوم عليه النص، فهي لم تُكتب بعاطفة متأجّجة فقط، وإنما صيغت وفق نسق لغوي محكم يجعل كل مستوى من مستويات اللغة مسهمًا في إبراز الدلالة وإنتاج الأثر. ومن هنا فإن تتبّع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية يسمح بفهم أعمق للنص، وبإدراك كيفية تداخل عناصر اللغة في تشكيل المأساة الشعرية.

على مستوى الصوت، نلحظ أن الموسيقى الداخلية للنص تنبع من انسجام الحروف وتكرار الأصوات الحزينة التي تواكب الجو العام. فقد اعتمد الشاعر على حروف المد واللين، خصوصًا الألف والياء، لتضفي على النص نغمة شجية متواصلة. كما أن اختيار البحر الشعري والروي عززا هذا الإيقاع الجنائزي، ليصبح النص أقرب إلى مرثية كبرى تتناغم فيها الألفاظ مع وقع الحزن العميق.[8]

ولم يقف الأمر عند حدود الإيقاع الخارجي، بل تجلى التكرار الصوتي في بناء الكلمات والعبارات، ليعكس حالة الترديد النفسي الذي يعيشه الشاعر. فتكرار الألفاظ والصيغ مثل "أين" و"كم" و"يا" جاء ليؤكد الإحساس بالفقد، وليخلق انكسارًا صوتيًا يوازي الانكسار الحضاري. هذا الانسجام الصوتي بين التكرار والإيقاع أعطى النص بعدًا موسيقيًا داخليًا يزيد من قوته التعبيرية.

أما على المستوى الصرفي والنحوي، فإن تنوع الصيغ الصرفية يعكس تنوع الانفعالات. فالشاعر يستخدم صيغ الماضي لاستحضار الأمجاد الراحلة، والحاضر لتجسيد الانكسار الآني، والمضارع للتعبير عن الاستمرارية واستحضار المأساة وكأنها متجددة. كما أن كثرة الأفعال الإنشائية مثل الاستفهام والنداء والإنذار تضفي على النص طابعًا تواصليًا حيًا، يتجاوز مجرد الوصف إلى إثارة التفاعل المباشر مع المتلقي.

وفي جانب التراكيب النحوية، تكثر الجمل الإنشائية التي تعبّر عن الانفعال، مثل الاستفهام الاستنكاري الذي يكشف عن حيرة الشاعر وضياعه، والنداءات المتكررة التي توجّه الخطاب إلى الأمة بأكملها. هذه التراكيب لا تنقل المعنى فقط، بل تُبرز انفعال الشاعر وتُحاكي حرارة اللحظة التاريخية بكل ما فيها من تفاصيل عن مشاعر الألم والأسى.

وعلى المستوى الدلالي، يتضح أن النص يتحرك داخل شبكة من الحقول الدلالية الغنية. فهناك حقل الموت والفقد، حيث تتكرر مفردات الانتهاء والخراب والزوال، إلى جانب حقل الحضارة، حيث تُذكر القصور والمدارس والمساجد. هذا التناوب بين الدلالات السلبية المرتبطة بالخراب والدلالات الإيجابية التي تستحضر المجد الماضي يعكس صراعًا داخليًا بين الحاضر المنكسر والماضي المجيد الجميل.

إن هذه الحقول الدلالية تسهم في إبراز البعد الرمزي للنص، فكل كلمة لا تقف عند معناها المباشر، بل تحيل إلى معنى أوسع يرتبط بالهوية الحضارية. فالمساجد ليست مجرد مبانٍ، بل رمز للدين، والقصور رمز للسياسة، والمدارس رمز للعلم. بهذا المعنى، تتحول الدلالة اللغوية إلى أداة لاستدعاء حضارة بأكملها.[9]

أما المستوى التداولي فيتجلى في طبيعة الخطاب الذي يوجهه الشاعر إلى المتلقي، إذ القصيدة ليست مجرد نص غنائي فردي، بل خطاب موجّه إلى الأمة الإسلامية كلها. لذلك تتكرر صيغ النداء والاستفهام لتجعل القارئ أو السامع شريكًا في التجربة، وكأن الشاعر يخاطبه مباشرة، ويحمّله مسؤولية المشاركة في كل ما يضر الجماعة.

من خلال هذا الخطاب التداولي، يبرز الدور الإقناعي للنص. فالشاعر لا يكتفي برثاء الماضي، بل يسعى إلى تحريك الوجدان وإثارة الوعي بالخطر المحدق. إنه يذكّر الأمة بمجدها، ويعرض عليها صور الخراب، في محاولة لدفعها إلى النهوض واستعادة عزتها. وهنا يتحوّل النص إلى أداة تواصلية فاعلة، لا تقف عند حدود الشعر، بل تنخرط في مشروع حضاري أكبر، يعيد ما كانت عليه من عز ووجاهة ومجد.

وبذلك يتضح أن المستويات اللسانية المختلفة في القصيدة، ليست عناصر متفرقة، بل هي حلقات مترابطة تلتقي كلها لتجسيد المأساة الأندلسية، فالمستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية تتكامل فيما بينها لإنشاء نصّ متميّز، يجعل من القصيدة وثيقة فنية ولسانية وحضارية في آن واحد.

4-إشكالية البحث:

تمثل الإشكالية البحثية الأساس الذي ينطلق منه أي عمل علمي، فهي التي تحدد مساره ومجالات تحليله وتفتح أفق التساؤل أمام الباحث. وفي حالة قصيدة أبي البقاء الرندي، تنبع الإشكالية من طبيعة النص ذاته؛ إذ هو نص رثائي يتجاوز حدود التعبير الفردي إلى أن يصبح صوتاً حضارياً ينقل مأساة سقوط الأندلس. ومن هنا يتولد السؤال المحوري: كيف تسهم المستويات اللغوية المختلفة – الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية – في إبراز البنية الفنية والدلالية للنص؟

يتضح أن الإشكالية لا تقتصر على تحليل داخلي للنص، بل تتطلب ربط اللغة بسياقها التاريخي والحضاري. فالقصيدة كُتبت في لحظة انكسار كبرى، والشاعر اختار أن يعبّر عن هذا الانهيار من خلال لغة مشحونة بالعاطفة ومحمّلة بالصور البلاغية والإيقاعات المتوترة. ومن هنا يصبح السؤال: هل يمكن للغة وحدها أن تحمل هذا العبء الحضاري؟ أم أن القراءة اللسانية تضيء لنا أبعاداً أخرى كامنة في النص؟

الإشكالية تتجلى أيضاً في العلاقة بين التحليل اللساني والتحليل الأدبي التقليدي. فالدارس للشعر العربي القديم غالباً ما يركّز على الصور البلاغية أو الأوزان أو الموضوعات، بينما التحليل اللساني يذهب أبعد

ليكشف عن انسجام داخلي على مستويات أصغر كالأصوات والبنى النحوية والتراكيب. إن الجمع بين المنهجين هو ما يجعل البحث قادراً على تجاوز القراءة الانطباعية ليصل إلى بناء علمي متماسك.

ولا تقف الإشكالية عند حدود المنهج، بل تمتد إلى موضوع الخطاب نفسه. فقصيدة الرندي ليست مجرد نص فني، بل هي وثيقة حضارية تُعبّر عن إحساس جماعي بالخسارة. وهنا يطرح التساؤل: كيف استطاع الشاعر أن يدمج بين حزنه الفردي وصوت الأمة؟ وهل كان توظيفه للغة هو الأداة التي مكّنته من تحقيق هذا الجمع؟ هذه الأسئلة تمثل جزءاً من إشكالية البحث.

كما أن التفاعل بين المستويات اللغوية المختلفة يطرح إشكالية أخرى، إذ كيف يمكن أن تتضافر الأصوات المتكررة مع البنى النحوية المشحونة بالانفعال، ومع الحقول الدلالية الغنية بالموت والفقد، لتشكّل في النهاية نصاً واحداً متماسكاً؟ يعدّ كشف هذا التفاعلّ من أصعب المهام، لكنه أيضاً من أكثرها ثراء في التحليل اللساني.

تتعمق الإشكالية حين ندرك أن الدراسات اللسانية المعاصرة غالباً ما توجه اهتمامها إلى النصوص الحديثة أو الخطاب اليومي، في حين يظل التراث الشعري العربي بحاجة إلى إعادة قراءة بمنهج علمي جديد. وهنا يبرز التساؤل: هل يمكن أن يفتح التحليل اللساني باباً جديداً لإعادة فهم النصوص الكلاسيكية مثل قصيدة الرندي؟

تتصل الإشكالية أيضاً بالجانب التداولي؛ فالقصيدة لم تكن موجّهة إلى شاعر بعينه أو نخبة صغيرة، بل إلى الأمة الإسلامية جمعاء، فهي تحمل خطاباً إقناعياً وتحريضياً، إذ السؤال هنا: كيف استثمر الشاعر أدوات اللغة ليجعل من نصه خطاباً عاماً يحرّك الضمير الجمعي ويثير الحزن المشترك؟

كما أن النص يطرح إشكالية التلقي؛ فإذا كان معاصرو الرندي قد وجدوا في قصيدته مرآة لمأساتهم، فكيف يمكن للقارئ المعاصر أن يقرأها؟ هل يقتصر الأمر على التذوق الفني، أم أن اللسانيات تساعده على إدراك الأبعاد الحضارية والثقافية الكامنة فيها؟

ولا يمكن إغفال إشكالية الزمن، إذ إن القصيدة كتبت في القرن السابع الهجري، لكنها ما تزال حاضرة حتى اليوم. فهل يعود ذلك إلى موضوعها وحده، أم إلى بنيتها اللغوية التي منحتها القدرة على تجاوز القرون؟ هذا التساؤل يمثل بعداً أساسياً للإشكالية البحثية.

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن الإشكالية البحثية لهذا العمل تتمحور حول العلاقة الجدلية بين اللغة والتاريخ، بين البنية الداخلية للنص والسياق الحضاري الذي أنتجه. فهي تحاول أن تكشف كيف أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير، بل أداة لبناء معنى حضاري وجمالي متكامل.

5–أهداف الدراسة:

يعدّ أحد الأهداف الجوهرية لهذه الدراسة هو الكشف عن التكامل بين الشكل والمضمون في قصيدة أبي البقاء الرندي. فالنص لا يمكن قراءته من خلال معناه المباشر وحده، ولا من خلال جمالياته الشكلية وحدها، بل من خلال العلاقة الوثيقة بين الاثنين إن الصور البلاغية، والألفاظ المختارة، والإيقاعات المتكررة، كلها جاءت لخدمة الفكرة الأساسية: رثاء الأندلس وتجسيد المأساة الحضارية.

يذهب البحث أيضاً إلى إبراز قدرة الشاعر على توظيف أدوات اللغة توظيفاً فنياً واعياً. فقد استخدم التكرار ليزيد من وقع الفاجعة في نفس المتلقي، ولجأ إلى التراكيب النحوية المتوترة ليعكس الاضطراب النفسي، واستعمل الحقول الدلالية المرتبطة بالموت والفقد ليعكس إحساساً جمعياً بالخسارة. هذا التوظيف المدروس يؤكد أن الشاعر لم يكتب انفعالاً لحظياً، بل صاغ خطاباً أدبياً مؤثراً.

كما يهدف البحث إلى إعادة ربط البحث اللساني بالموروث الشعري العربي القديم. إذ غالباً ما يُظن أن اللسانيات حقل معاصر معني بالنصوص الحديثة، لكن هذا البحث يؤكد أن أدواتها قادرة على كشف خبايا النصوص الكلاسيكية. فالشعر الأندلسي عموماً، وقصيدة الرندي خصوصاً، مجال خصب لتجريب هذه الأدوات.

من أهداف البحث كذلك تعميق الوعي بأن الشعر العربي القديم ليس نصوصاً جامدة، بل نصوص حية قادرة على التفاعل مع المناهج الحديثة، إذ تطبيق التحليل اللساني عليها يعيد لها حيويتها ويكشف عن جوانب لم تكن بادية بالضرورة في القراءات التقليدية.

يسعى البحث أيضاً إلى إظهار أن القصيدة لا تمثل مجرد تجربة ذاتية للشاعر، بل هي تجربة جماعية. فالألفاظ والتراكيب لا تعكس حزناً فردياً فقط، بل هي صوت حضاري يشمل أمة كاملة. ومن ثم فإن الهدف هو توضيح كيف استطاع الشاعر عبر اللغة أن يحوّل تجربته الفردية إلى شهادة حضارية.

كما يتطلع البحث إلى تقديم نموذج تطبيقي يمكن الإفادة منه في دراسات لاحقة. فإذا أمكن تحليل قصيدة الرندي من خلال مستويات اللغة، فإن هذا يفتح الباب أمام تحليل نصوص أخرى بنفس الأدوات، وبذلك يتسع مجال الدراسات التطبيقية في الأدب العربي.

ومن الأهداف المهمة أيضاً إبراز التداخل بين التحليل الأدبي واللساني. فالأدب من دون لغة لا وجود له، واللغة من دون سياق أدبي تفقد كثيراً من ثرائها. ومن هنا، فإن البحث يهدف إلى بناء جسر بين التذوق الأدبي والتحليل العلمي

كما يسعى البحث إلى إظهار أن اللغة، بوصفها نظاماً، قادرة على حمل معانٍ حضارية وتاريخية كبرى. فالمستويات اللغوية ليست زخارف شكلية، بل أدوات لبناء المعنى. هذا الوعي يمثل هدفاً أساسياً من الدراسة ويسعى البحث كذلك إلى توسيع دائرة الاهتمام بالشعر الأندلسي، الذي كثيراً ما ينحصر في الدراسات التاريخية أو الجمالية التقليدية. بتحليله لسانياً، يقدّم البحث إضافة جديدة تسهم في إعادة اكتشاف هذا التراث

وأخيراً، يرمي البحث إلى أن يكون لبنة في مشروع أوسع يسعى إلى إعادة قراءة التراث العربي كله من منظور لساني، بما يعيد وصل الماضي بالحاضر، ويمنح النصوص القديمة حياة جديدة في فضاء الدراسات الحديثة.

الأهمية العلمية والعملية:

تكمن الأهمية العلمية لهذا البحث في كونه يسعى إلى إدماج أدوات التحليل اللساني في قراءة نصوص شعرية قديمة. فهذا المزج يفتح مجالاً جديداً في الدراسات الأدبية، إذ يثبت أن المناهج الحديثة لا تقتصر على النصوص المعاصرة، بل يمكن أن تكشف عن ثراء النصوص التراثية أيضاً.

كما أن البحث يقدم نموذجاً تطبيقياً يمكن أن يحتذى به في دراسات أخرى. فإذا أمكن تحليل قصيدة الرندي من خلال المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية، فإن هذا يتيح للباحثين أن يطبّقوا المنهج نفسه على نصوص أخرى من الشعر الأندلسي أو العربي.

وتتجلى الأهمية العملية في إعادة قراءة التراث الأندلسي من منظور جديد. فالقصيدة ليست فقط وثيقة حزينة على ضياع المدن، بل هي أيضاً نص لغوي غني يمكن أن يكشف عبر التحليل عن أبعاد حضارية وثقافية وفكرية. وهذا يجعلها مادة تعليمية وتدريسية قيّمة.

من الناحية العلمية، يسهم البحث في إثراء الدراسات البينية التي تربط بين الأدب واللسانيات. فهو يؤكد أن التخصصات لا ينبغي أن تبقى منعزلة، بل يمكن أن تتداخل لتنتج معرفة أعمق وأكثر شمولاً.

كما أن البحث ذو قيمة عملية في تطوير مهارات القراءة النقدية والتحليلية، إذ يدرّب الباحث على كيفية النظر إلى النصوص من زوايا مختلفة، ويعلّمه أن اللغة ليست مجرد كلمات بل نسق معقد من العلاقات والمعاني.

بعد هذه الرحلة التحليلية التي تناولت قصيدة أبي البقاء الرندي من منظور لساني وأدبي وحضاري، يتضح أنّ النص لا يقف عند حدود الرثاء التقليدي، بل يتجاوز ذلك ليصبح وثيقة حضارية تجسد مأساة سقوط الأندلس وتوثّق لحظة الانكسار التاريخي التي عاشها المسلمون. وقد أظهرت الدراسة أنّ المستويات اللسانية – الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية – لم تكن مجرد عناصر شكلية في النص، بل كانت أدوات فعّالة وظّفها الشاعر بعناية لإبراز شدة الفاجعة وتكثيف أثرها في نفس المتلقي. ومن هنا يمكن القول إن اللغة لم تكن أداة للتعبير فقط، بل كانت أيضاً أداة للتأريخ والاحتجاج.

أبرز التحليل أنّ المستوى الصوتي، بما يتضمنه من تكرار وانسجام وإيقاع داخلي، كان له الدور الأكبر في إحداث الأثر النفسي لدى القارئ، إذ حوّل النص إلى مرثية جماعية يتردد صداها في وجدان الأمة. أما المستوى الصرفي والنحوي فقد كشف عن توتر البنية اللغوية وانفعالها، حيث لجأ الشاعر إلى صيغ وأبنية نحوية معينة عكست اضطراب الحالة الشعورية. بينما أبان المستوى الدلالي عن كثافة الحقول المرتبطة بالموت والخراب والفقد، وهو ما منح النص طابعه المأساوي العميق. أما المستوى التداولي فقد كشف عن البعد الإقناعي والتحريضي، إذ وجّه الشاعر خطابه إلى الأمة الإسلامية جمعاء، محاولاً إيقاظ الوعي الجمعي وإثارة مشاعر الحزن والغيرة على الحضارة المهددة بالزوال.

من خلال هذه القراءة، يتبين أن قصيدة الرندي ليست مجرد عمل أدبي يمكن أن يُدرَس من زاوية واحدة، بل هي نص متعدد الأبعاد يستدعي تضافر أكثر من منهج لتحليله. فاللسانيات هنا لم تكن غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لإعادة اكتشاف النص وكشف أنساقه الداخلية وربطها بسياقه التاريخي والثقافي. لقد أظهرت الدراسة أن النصوص الكبرى مثل هذه القصيدة لا يمكن أن تفهم إلا في ضوء التفاعل بين اللغة والتاريخ، بين البنية الفنية والدلالة الحضارية.

كما أثبت البحث أنّ إدماج التحليل اللساني في دراسة الشعر العربي القديم ليس ترفاً معرفياً، بل هو ضرورة علمية. فهذا المنهج يكشف عن مستويات خفية في النصوص التراثية ويعيد قراءتها بطريقة جديدة تتيح للباحثين فهماً أعمق وأكثر شمولاً. ولعل هذا ما يفتح الباب أمام دراسات أخرى يمكن أن تتناول نصوصاً شعرية أندلسية أو عربية قديمة بنفس الأدوات، فيتسع مجال البحث وتتجدد آفاقه ومساعيه.

إن القيمة العلمية لهذه الدراسة تتجلى أيضاً في كونها ساهمت في وصل الماضي بالحاضر، إذ أبرزت أن التراث الأندلسي ما يزال حيّاً في وجداننا، وأن نصوصه ما تزال قادرة على مخاطبة القارئ المعاصر إذا ما

قُرئت قراءة علمية متجددة. أما القيمة العملية فتتمثل في تقديم نموذج تطبيقي يمكن الإفادة منه في مجال التدريس والبحث الأكاديمي، سواء في اللسانيات أو في الأدب العربي.

لا بد من الإشارة إلى أن قصيدة أبي البقاء الرندي، بما حملته من شحنة عاطفية وبنية لغوية متقنة، تمثل نموذجاً للشعر الذي يختزل التجربة الفردية والجماعية في آن واحد. فهي من جهة نص شخصي يعبّر عن مأساة شاعر فقد أرضه وحضارته، ومن جهة أخرى نص حضاري يعبّر عن وجدان أمة بأكملها. وهذه الجدلية بين الفرد والجماعة لا يمكن إدراكها بعمق إلا عبر تحليل لغوي دقيق يبرز كيف تحوّلت التجربة الذاتية إلى خطاب جماعي.

بناءً على ما سبق، يمكن القول إن هذه الدراسة لم تهدف إلى تقديم قراءة نهائية للقصيدة، بل إلى فتح أفق جديد للتعامل مع النصوص الشعرية التراثية. فاللسانيات، بما تقدمه من أدوات دقيقة، قادرة على أن تكون جسراً بين الماضي والحاضر، بين الأدب القديم والمقاربات الحديثة، وهنا تكمن القيمة الحقيقية في إحياء النصوص القديمة وإعادة تقديمها في صورة معاصرة تجعلها جزءاً من الحوار الثقافي الراهن.

إن النتائج الأهم التي يمكن الخروج بها هي أن اللغة في نص الرندي لم تكن مجرد وسيلة للتعبير عن الحزن، بل كانت هي الحزن ذاته في صورته الجمالية والأدبية. فقد تجسدت المأساة في كل مستوى لغوي من مستويات النص، حتى بدا وكأن اللغة نفسها تبكي ضياع الأندلس. وهذه النتيجة تؤكد أن التحليل اللساني ليس مجرد تمرين تقني، بل هو مدخل لفهم أعمق للوجدان الجمعي الذي صاغ النص.

في الأخير، فإن هذه الدراسة تبقى مفتوحة على آفاق جديدة، إذ يمكن أن تتوسع لتشمل مقارنة بين قصيدة الرندي ونصوص رثائية أخرى في الأدب العربي أو في الآداب العالمية التي عاشت لحظات انهيار حضاري مشابهة. كما يمكن أن تستثمر في مجال الدراسات البينية التي تجمع بين اللسانيات والتاريخ وعلم الاجتماع، بما يثري البحث العلمي ويمنحه بعداً متعدد التخصصات.

وهكذا، فإن قصيدة "لكل شيء إذا ما تم نقصان" تظل نصاً شاهداً على قوة اللغة في التعبير عن اللحظات الفارقة في تاريخ الأمم، وتبقى قراءتها اللسانية مدخلاً أساسياً لفهم جمالياتها ومعانيها الحضارية، فهي ليست مجرد مرثية لماضٍ غابر، بل هي نص إنساني خالد يعكس مأساة، ويجسد تجربة، ويضيء للأجيال اللاحقة معنى الانتماء إلى حضارة وإنسانية مشتركة.

المراجع:

Al-Rundi, A. A.-B. (n.d.). *Diwan Abi al-Baqa' al-Rundi*. Edited by Muhammad Ridwan al-Dayya. Damascus: Dar al-Fikr.

Abbās, I. (1985). *History of Andalusian Literature: The Era of the Taifas and the Almoravids*. Beirut: Dar al-Thaqafa.

Haykal, A. (1997). *Andalusian Literature: Its Themes and Genres*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Al-Ahwani, A. A. (1969). *Andalusian Literature: A Study of Its Development and Characteristics*. Cairo: Dar NahdatMisr.

Dayf, S. (1960). *Art and Its Schools in Arabic Poetry*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Makki, A.-T. (1992). *A Study in the Sources of Andalusian Literature*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Al-Tayyib, A. (1987). *The Guide to Understanding Arab Poetry and Its Craft*. Khartoum: University of Khartoum.

Miftah, M. (1985). *On the Semiotics of Classical Arabic Poetry*. Casablanca: Dar al-Thaqafa.

Fadl, S. (1992). *Stylistics: Its Principles and Procedures*. Cairo: Dar al-Shuruq.

Hilal, M. G. (1977). *Modern Literary Criticism*. Cairo: Dar al-Nahda al-'Arabiyya.

---

[1]Al-Rundi, A. A.-B. (n.d.). *Diwan Abi al-Baqa' al-Rundi*. Edited by Muhammad Ridwan al-Dayya. Damascus: Dar al-Fikr.

[2]Abbās, I. (1985). *History of Andalusian Literature: The Era of the Taifas and the Almoravids*. Beirut: Dar al-Thaqafa.

[3]Haykal, A. (1997). *Andalusian Literature: Its Themes and Genres*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

[4]Al-Ahwani, A. A. (1969). *Andalusian Literature: A Study of Its Development and Characteristics*. Cairo: Dar NahdatMisr

[5]Dayf, S. (1960). *Art and Its Schools in Arabic Poetry*. Cairo: Dar al-Ma'arif

[6]Al-Tayyib, A. (1987). *The Guide to Understanding Arab Poetry and Its Craft*. Khartoum: University of Khartoum.

[7]Miftah, M. (1985). *On the Semiotics of Classical Arabic Poetry*. Casablanca: Dar al-Thaqafa

[8]Fadl, S. (1992). *Stylistics: Its Principles and Procedures*. Cairo: Dar al-Shuruq.

[9]Hilal, M. G. (1977). *Modern Literary Criticism*. Cairo: Dar al-Nahda al-'Arabiyya.